AL-ʻULŪM ISSN: 2709-3484 (Print) | 2709-3492 (Online)
https://alulum.net/ojs/index.php/aujis/about
(January-June 2023), 4:1(272-300)

معالجة المشكلات الأسرية المعاصرة بهدي خير البرية ﷺ في ضوء كتاب الشفا للقاضي عياض

كامران أورحمان مجيد، كلية العلوم الإسلامية جامعة السليمانية / إقليم كردستان العراق

Remedies of Contemporary Domestic Issues with the Guidance of *Khair al-Bariyyah* (peace be on him) in the light of *Kitāb 'l Shifā*

Kamaran Awrahman Majeed (Ph. D)[1] Professor, College of Islamic Sciences, University of Sulaymaniyah, Kurdistan Region, Iraq

Keywords:
Domestic issue, guidance, Holy Prophet, Qāḍī ʿIyāḍ, Kitāb Al-Shifā

Abstract: *"It is no hidden from learner of the biography of the good of the wilderness and his honorable Sunnah". It is a translation of the Noble Qur'an as described by the mother of the believers Aisha (may God be pleased with her) "His character was the Qur'an in his intellectual, social and other community". When I contemplated the Book of Al-Shifa and turned its pages one by one after reflecting on its index, I wandered between the corridors of its lines and shaded itself in the shadow of its sentences and sections, and found different sections, various doors, and distinct chapters. I was bewildered between the kindergartens and the precious pearls, which angle to cling to and which branch to climb to reassure my heart at the aforementioned address, perhaps it will be a humble brick towards reform, and an expression of my love for the owner of the Brigade of Praise on the Day of Judgment. Qāḍī ʿIyāḍ commented about the life of Holy prophet (peace be on him) has shine guidance towards domestic issues because he spread the bitterness in whole life for every member of this universe. Therefore, remedies were granted by God to treat the social issues during the treatment of communal violence.*

Kamaran Majeed (2023) Remedies of Contemporary Domestic Issues with the Guidance of Khair al-Bariyyah in the light of ***Kitāb 'l al-Shifā***
Al-'Ulūm Journal of Islamic Studies, 4(1)

1. Corresponding author Email: kamaran.mageed@univsul.edu.iq

المدخل

الحمد لله رب العالمين مرسل الأنبياء والمرسلين؛ لبيان الحق وإسعاد الخلق أجمعين، والصلاة والسلام على صاحب الخلق العظيم، وعلى من رباهم بتربية الإسلام من الآل والصحب الكرام، وعلى كل من تمسك بدينه، وتحلى بأخلاقه إلى يوم يبعثون.

أما بعد، فقد كانت الإنسانية تعيش في أتعس لحظاتها؛ حيث يقتل الآباء أولادهم، سواء خشية لومة لائم، أو بسبب الجوع. واليتامى يقضون حياتهم في مجتمع دون رحمة، يظلمهم القريب والبعيد، ففي هذه الأوقات المظلمة أرسل الله -تعالى- خاتم الأنبياء؛ ليكون سراجاً منيراً إلى قيام الساعة، وخص الله -تعالى- لمعجزته الخلود إلى أن يشاء الله -تعالى-، ومن المؤلفات تعرج في دقائق أحوال الرسولﷺ وامتاز بين أكثر المؤلفات بجمعه مسائل كثيرة متنوعة، فهو "كتاب الشفا" والذي يختص بشأن الرسول(ﷺ) من مجالات عدة، فلم يقتصر على سيرته مثل كتب السيرة، كما لم يتوقف في حدود ما يجب على المرء المسلم تجاه خاتم الأنبياء، ولم يتوقف في أوصافه الكريمة الواردة في القرآن الكريم، بل جمع بين كل ما ذكر وزاد أشياء، ربما لم يخطر ببال أحد من قبل جمعها والوقوف عندها، وكنت عندما اطلعت على الكتاب ظننت أنه كتاب في ثناء الرسول(ﷺ) أو يذكر جملة من شمائله، لكن مع قلب صفحاته واحدة تلو الأخرى، والتدبر في فهرسه مليا والتجول بين أروقة سطوره وعشت في ظل جمله ومقاطعه، وجدت أوسع من جميع ما ذكر، فصاغه مؤلفه في أقسامٍ مختلفة، وأبواب متنوعة، وفصول متمايزة، أودع صاحبه كنوزا يعشقها القلب، وجواهر تسرُّ القلب، وتثلج الصدر فيما يتعلق بأوصاف خير البرية(ﷺ) وكنت حائرا بين الروضات اللآلي والدرر النفائس بأي زاوية أتعلق، وبأي غصن أتسلق، وبعد إمعان النظر في حاجة المجتمع الإنساني المعاصر، رأيت

اختيار المعالجلات المشكلات الأسرية في ضوء الشفا من المسائل الضرورية، فاقترحت العنوان المذكور.

ولا يخفى أن المجتمعات المعاصرة تعاني بجملة من الأمراض الفكرية والاجتماعية الخطيرة، ربما لم يشهد مثلها تأريخ البشر، وهي في تزداد وتفاقم يوما بعد يوم، والخبراء في جميع المجالات يقترحون حلولا متنوعة، لكنها تتوسع دائراتها لحظة بعد أخرى، جُرّبت كثير من المقترحات دون طائل، فيجب أن يفسح المجال للتشريع الإسلامي ورسالته الخالدة؛ لكي يأخذ دوره في هذا المجال.

ودراسة كتاب الشفا دواء للأمراض الفكرية، ينبغي عرض القلوب عليه لمعرفة حالها، وطرق إصلاحها؛ كما قال الكتاني حول دراسة هذا الكتاب:

> "وقد جربت قراءته؛ لشفاء الأمراض المزمنة، وتفريج الكروب، ودفع الخطوب، شكر الله سعي مؤلّفه، وجازاه عليه بأتمّ الجزاء وأعظمه"[1].

فلا غرابة في الاستفادة منه في حل ومعالجة المشكلات المعاصرة.

ومن جهة ثانية يجب على المسلم معرفة مكانة الرسول(ﷺ) والحلول المقترحة على هديه لمشكلات الحياة، ولاسيما في أيامنا التي تثار شبهات وتتهم ديننا الحنيف بقضايا بلا برهان.

فهناك عدة أسئلة موجهة لهذه الدراسة ولعل من أبرزها: لماذا نعتقد بأن المشكلات الاجتماعية المعاصرة تنحل عن طريق نصوص الشريعة وإرشاداتها؟. وما هو خصائص ومميزات كتاب الشفا التي جعلته مساهما في حل المشكلات الأسرية المعاصرة علما أنه قد مضى

[1]– الكتاني، الرسالة المستطرفة (بيروت: دار البشائر الإسلامية ، ط: 6، 2000م)، 106.

على كتابته أكثر من تسعمائة عام؟. وما السبل لتوظيف مسائل كتاب الشفاء لمعالجة المشكلات الاجتماعية والأسرية المعاصرة؟. وما الأبواب التي ستكون نافذة لحل المشكلات المعاصرة من كتاب الشفا؟.

وأمّا عندما نبحث عن أجوبة الأسئلة المطروحة المذكورة في الدرسات السابقة فلم نجدها–حسب اطلاعي المتواضع-، على الرغم أن كتاب الشفا من الكتب المعروفة القديمة، وكُتب عليه شروح وحواشي فضلاً عن داسات وبحوث فيما يتعلق بمسائل الكتاب وفصوله، من هذه الدراسات: مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا بتعريف حقوق المصطفى(ﷺ) للقاضي عياض، لجلال الدين السيوطي كتاب مطبوع ومحقق من قبل: سمير القاضي. ومسائل النبوة في الشفا للقاضي عياض عرض ودراسة على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، رسالة ماجستير، ياسر بن إبراهيم السلامة. وآراء القاضي عياض الأصولية جمعا ودراسة، رسالة ماجستير، صالح بن محمد بن أحمد، في السعودية. وكما معلوم أن هذه العناوين لا علاقة بموضوع بحثي؛ فلذلك الموضوع يحتاج إلى دراسة مستقلة؛ لأجل البحث عن أجوبة الأسئلة المطروحة.

وأمّا منهجي في كتابة هذا البحث فهو متكون من استقرائي وتحليلي؛ حيث تتبعت المسائل في مواطنها الخاصة من الكتاب المذكور والنصوص الواردة فيه مع الرجوع إلى تفسيراتها في ثنايا الكتب، ثم أعود وأستنبط ما يصلح ويناسب لموضوع البحث، وحل المشكلات الأسرية حسب المنهج التحليلي.

المبحث الأول: وقفة مع كتاب الشفا، ومفهوم المشكلات الأسرية

طبيعة المبحث وعنوانه يتطلب تقسيمه إلى فرعين:

الفرع الأول: وفقة مع كتاب الشفا

كتاب الشفا من المؤلفات التي فاقت شهرتها الأفاق وملأت الدنيا صيتها، تعود كتابته إلى القرون الأولى -الخامس والسادس- الهجرية، حيث مضى على الكتاب أكثر من تسعمائة عام، ومع ذلك لم يشبع منه الكُتّاب والباحثون، فمن اطلع على الكتاب ووقف على مسائله، لا يسهل عليه حرمان نفسه منه، وهذا دليل على إخلاص كاتبه -رحمه الله- وصدق نيته، ولا أنوي في هذه العجالة الوقوف على جميع الجوانب الإيجابية للكتاب، وإعراب ما قيل فيه وكتب عنه؛ لأن الباحثين على علم بذلك، ولو إجمالاً بفضل الكتاب ومكانته وقيمته العلمية، وكما يقال:"كتاب الشفا" شفاء الصدور السقيمة، وضياء القلوب السليمة، ومن أمعن النظر في تدقيقه، ودقق فكره في تحقيقه، ولمح بعين الإنصاف ملحه، حمد مؤلفه على ترتيبه ومدحه، وعلم أنه لم يصنف في معناه مثله، ولا نسج على منواله شكله[2].

وهذا الكتاب كتب الله له القبول وانتشر خبره وتسابق الكُتاب إلى الاشتغال به شرحا وتعليقا وحواشي، حيث بلغت الشروحات والتعليقات والتخريجات لأحاديثه إلى أكثر من

[2]- محمد بن عبد الله بن محمد الشافعي، مجلس في ختم كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط:2، 2005م)، 42.

مائة وأربعين كتابًا، كما عدها بعض المتأخرين[3]، ومنها كما قال بعض الباحثين قرابة الثلاثين شرحا وتعليقا[4].

وقد أثنى على الكتاب كثير من العلماء والمؤلفين قديما وحديثا، قال فيه حاجي خليفة:

"وهو كتاب عظيم النفع، كثير الفائدة، لم يؤلف مثله في الإسلام"[5] .

ونقل الندوي قول المستشرق الفرنسي ماسنيون:

"يكفي لتعرف أوربا محاسن رسول الله محمد(ﷺ) ومحامده أن ينقل كتاب (الشفا) للقاضي عياض إلى إحدى اللغات الأوربية"[6].

الفرع الثاني: مفهوم المشكلات الأسرية

إن عبارة المشكلات الأسرية مركب وصفي، والمركب عند التعريف بحاجة إلى تعريف أجزائه أولاً.

فالمشكلات جمع مشكلة، وهي في اللغة: تأتي بمعنى: الإلتباس والتشابه، فيقال أشكل علي الأمر، أي: إلتبس، وهو الداخل في إشكاله وأمثاله، كما يقال: أحرم، أي: دخل في الحرم،

---

[3]- شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939م)، 4: 308.

[4]- بدري محمد فهد "كتاب الشفا للقاضي عياض دراسة وتحليل"، مجلة المناهل، المغرب، 19 (1980م) 235-534.

[5]- مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بغداد: مكتبة المثنى، 1941م)، 2: 1054.

[6]- قال الندوي: "قال لي يوما، وأنا في فرنسا مستشرق اسمه ماسنيون".

السيد سليمان الندوي الحسيني، الرسالة المحمدية (دمشق: دار ابن كثير، ط: 1، 1423ه)، 96.

وكذلك أشكل، أي: دخل في الإشكال، والمشكل هو الملتبس[7]. وهذه المفردة ليست غريباً في تراث المسلمين فقد تناولها العلماء في مواطن في أحكام الوضوء والصلاة والميراث وغيرها وهناك أحكام الخنثى المشكل[8]. والمشكل في اصطلاح الأصوليين هو اللفظ الذي لا يظهر المراد منه، ولا يفهم معناه إلا بعد الطلب والتأمل ودليل آخر[9].

والأسرية نسبة إلى الأسرة[10]، وهي لغة من الأَسْرِ، وهو: الشد وإحكام الربط وقوته، ويقال فلان ذو أسرة كريمة أي: أهل بيت[11].

وأما تعريف الأسرة عند المسلمين، فهناك تعريفات لعلها مختلفة في الألفاظ والمباني ومتوافقة في المقاصد والمعاني منها:

---

[7]- ينظر: محمّد مرتضى الزَّبيدي، تاج العروس (الكويت: وزارة الإرشاد، 2001م)، 29: 269، الفيروز آبادى، القاموس المحيط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط:8، 2005م) 1019.

[8]- أحمد بن محمد القدوري، التجريد للقدوري (القاهرة: دار السلام، ط:2، 2006م)، 8: 3973، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير اليمني الشافعي، البيان في مذهب الإمام الشافعي (السعودية: دار المنهاج، ط:1، 2000م)، 9: 73.

[9]- ينظر: علاء الدين السمرقندي، ميزان الأصول في نتائج العقول (قطر: مطابع الدوحة الحديثة، ط: 1، 1984م)، 354.

[10]- اختُلف في ضبط همزة: أسرة: حيث قال بعض بالفتح، وفسروه: بالجماعة القوية، ومن قال: الأسرة بالضم: الدرع الحصينة.
أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1997م)، 2: 148.

[11]- أبو حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس، البصائر والذخائر (بيروت: دار صادر، ط:1، 1988م)، 2: 114، نشوان بن سعيد اليمني الحميرى، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط:1، 1999م)، 1: 253، ابن منظور الأفريقي، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ط:3، 1414ه)، 4: 19.

التعريف الأول: إنها مجموعة من الأفراد ارتبطوا برباط إلهي، وهو رباط الزوجية أو الدم أو القرابة[12]، هذا تعريف جيد وتقيده برابط إلهي؛ لأن الأسرة لا تتكون في الإسلام، إلا بهذا، والقيود التي تليها معبرة عن واقع الأسرة في التشريع الإسلامي، وهذا تعريف بالحقيقة.

التعريف الثاني: إنها الخلية الاجتماعية التي يعيش كل إنسان فيها وبها مع أنها حميمة وقائمة على الاحتكاك اليومي والمعاشرة الحسية، والتماس النفسي مما يستدعي اختضانا قيميا من الفضل[13]. وهذا التعريف أيضا تعريف لا غبار عليه، إلا أنه تعريف بالرسم والفائدة.

التعريف الثالث: إنها الوحدة الأولى للمجتمع، وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها الغالب مباشرة، ويتم داخلها تنشئة الفرد اجتماعيا، ويكتسب فيها كثيرا من معارفه ومهاراته وميوله وعواطفه واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنه وسكنه[14].

التعريف الرابع: إنها تلك الخليّة التي تضم الآباء والأُمهات، والأجداد والجدّات، والبنات والأبناء، وأبناء الأبناء[15]، هذا التعريف مثل التعريف الثالث إلا أن اشتراط وجود جميع من ذكر من الأفراد لتكوين الأسرة ليس صحيحا إذ قد تكون الأسرة أكثر أو أقل، فلو اقتصر على الأركان الأساسية لكان أولى وهي: الزوجين والأولاد.

12- محمد المقبل، الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام (الرياض: دار العاصمة، ط: 1، 1409ه)، 35.

13- د. فريد شكري، الأسرة بين العدل والفضل (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط:1، 2012م)، 65.

14- محمد عقلة، نظام الأسرة في الإسلام (عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، ط:2، 1989م)، 8.

15- د.مُصطفى الخِنْ ود.مُصطفى البُغا، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (دمشق: دار القلم للطباعة والنشر، ط:4، ١٩٩٢م)، 4: 20.

والتعريف الذي أميل إليه بين هذه التعريفات هو التعريف الأول، وهو أجود من غيره؛ لأنه أوضح أركان الأسرة، ويبين حقيقة المعرف ومكوناته، فهو تعريف بحد والحقيقة لا بالرسم والوظيفة.

وفي علم الاجتماع عرفت الأسرة كالتالي:

الف: إنها رابطة اجتماعية تتكون من زوج وزوجة وأطفالها وتشمل الجدود والأحفاد وبعض الأقارب على أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة[16]. هذا التعريف يعتبر من تعريف الأسرة الممتدة وهي إحدى نوعي الأسرة.

ب: إنها جماعة اجتماعية تتكون من الأب والأم وواحد أو أكثر من الأبناء، يتبادلون الحب فيما بينهم ويتقاسمون المسؤولية ، والأسرة تقوم بتربية الأطفال؛ حتى تمكنهم من القيام بواجباتهم، وضبطهم؛ ليصبحوا أشخاصا يتصرفون بطريقة اجتماعية[17]، تربية الأولاد من واجبات الأسرة وليست من مكوناتها.

وعند أهل التربية عرفت الأسرة كالتالي:

16– الدكتور محمد عقلة، نظام الأسرة في الإسلام (الأردن: مكتبة الرسالة الحديثة، 1403ه)، 10.

17– عبدالحفيظ محمد شناق، ظاهرة جناح الأحداث في الأردن دراسة ذات طابع شمولي وصفية تجريبية (عمان: المركز العربي للخدمات الطلابية،2001م)، نقلا من د.أحمد عبداللطيف، د.سامي الختاتنة، سيكولجية المشكلات الأسرية (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط:2، 2014م)، 37.

إنها "الوعاء الاجتماعي الذي يتلقى الطفل، ويتفاعل معها ويشعر بالانتماء إليها"[18].

أو هي:

"ما تضم الأصول والفروع، وتتكون من الزوجين والأبناء مع إمكان انضمام أفراد قربى آخرين"[19].

وهذا الأخير تعريف للأسرة الممتدة، وهناك الأسرة الضيقة، وهي: ما تضم الزوجين والأولاد فحسب[20].

بعد أن عرفنا الأسرة نأتي إلى معنى المشكلة الأسرية، وفي بادئ البدء أقول بحثت عن تعريفها في المدونات الفقهية وغيرها، إلا أنني لم أجد من تطرق إلى تعريف المشكلة الأسرية، ولا يصعب تعريفها خصوصا بعد أن عرفنا معنى الأسرة ومقتضياتها، فنقول في تعريف المشكلة الأسرية هي: كل أمر تعرقل سعادة العائلة وتحرمها من الاستقرار الداخلي أو الخارجي سواء كان من متعلق ببعض أفرادها أو جميعها.

18- خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية (السعودية: عالم الكتب، ط:1، 2000م)، 308.

19- أبو عليان بسام محمد، أساليب النشئة الاجتماعية في الأسرة اليمنية وأثرها على التحصيل الدراسي لدى الأبناء (الصنعاء: رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، 2006م)، 93، وخالد روشة، التربية الإسرية في الاسلام، الرابط:

(http://www.almoslim.net/node/132461, 10.10.2022).

20- شفاء علي الفقيه، الأسرة الممتدة ودورها في بناء الشخصية المسلمة نماذج تطبيقية من بيت النبوة (الأردن: دار الفتح للدراسات والنشر، ط:1، 2015م)، 254.

فقولي: كل، شامل للأمر النفسي أو السلوكي والفعلي أو اللفظي، تعرقل، الخ، قيد يبين كيفية تأثير الأمر على الأسرة، وبقية القيود واضحة.

ومن تعريفات المشكلة الأسرية في علم الاجتماع وغيرهم:

أوّلا: المشكلة الاجتماعية الأسرية هي: حالة من الاختلال الداخلي والخارجي التي تترتب على حاجة غير مشبعة عند الفرد وعضو الأسرة أو مجموعة الأفراد بحيث يترتب عليها نمط سلوكي أو مجموعة أنماط سلوكية يعبر عنها الفرد أو مجموعة الأفراد المتعاملين معه بكيفية تتنافى مع الأهداف المجتمعية ولا تسايره[21].

ثانيا: هي: نوع من العلاقات المضطربة بين أفراد الأسرة والتي بدورها تُؤدّي إلى حدوث التوتُّرات، سواء، أكانت هذه المشاكل ناتجة عن سوء سلوك أحد أفراد الأسرة أو الطرفين الرئيسيين فيها، وتؤدي كثرة الشجار والاختلاف بين الأبوين، أو بين الأبناء، أو بين الأبناء والأبوين إلى جعل الأسرة في حالة اضطراب، ويفقد الأبناء هيبة الأسرة واحترامها والانتماء لها[22].

المبحث الثاني: ملامح المشكلات الأسرية المعاصرة في كتاب الشفا

سبق الحديث عن مفهوم المشكلة الأسرية، وينبغي التركيز على بيان التلميحات.

---

[21]– محمد علي السلامة، محكمة الأسرة ودورها في المجتمع (مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر، ط:1، 2007م)، 69.

[22]– د. يخلف رفيقة، المشكلات الأسريَّة وأثرها على تنشئة الطفل (الجزائر: جامعة حسيبة بن بو علي (الشلف)، بحث منشور على الموقع بوابة علم الاجتماع دون تأريخ النشر). ينظر الرابط:

(https://drive.google.com/file/d/1ipWnDmGmfb9fMs0a4bSeztZ1QrCoSff/view, 12.10.2022)

المشكلات الأسرية في كتاب الشفا

فصل القاضي-رحمه الله- الكلام في عرض حياة النبي(ﷺ) الشخصية العطرة، فتعرج في أكثر تفاصيل حياته سواء، ما أعطاه الله من المجد والمكانة المحمودة أو ما أوجبه الباري –سبحانه- على خلقه تجاهه، وكذلك ما يجوز في حقه وما لا يجوز، مع حكم من تجاوز الأدب في مقامه، فهذه كلها ما تعلق بحياته الفردية الشخصية(ﷺ).

كما أنه خاض في غمار محاسن خلقه، وأوضح ما يتعلق به، ويتجلى للقارئ من كتابه معرفة آثار مكارم الأخلاق في حياة الإنسان، سواء فيما يتعلق بالحياة الشخصية أو الأسرية مع من يتعامل معهم في حياته اليومية من زوجاته وأطفاله وأقربائه أو الحياة الاجتماعية، مثل التعامل مع جميع الناس وأبناء المجتمع وغيرهم.

ومع ذلك كله يتبين للمطلع على كتاب الشفا أن القاضي-رحمه الله- لم يخصص قسما أو جزءاً مستقلا يتعرض فيه لبيان حياة النبي(ﷺ) الأسرية، فيذكر تعامله مع زوجاته وأولاد وأحفاده وغيرهم من أقربائه وخدمه، علما أن هذه الزاوية ضمن التعرف على شخصية الرسول(ﷺ)، ومعلَم لفضائله ومكارم خلقه، فضلاً عن توفر النصوص والروايات بهذا الصدد، وكتابه يدخل في إطار السيرة النبوية والتعرف بقدر المصطفى(ﷺ). وتبعا لذلك طبعا لم يتطرق إلى المشكلات في حياته الفردية أو الأسرية، ومعلوم أن حياته الفردية كانت خالية عن المشكلات تماما فلا توجد مشكلة في حياته الفردية -النفسية- وما تعرض له(ﷺ) في الجهاد والمغازي، لا تدخل أبدا في إطار المشكلة، وأما المشكلات الأسرية، وإن وجد أحيانا بعض الأشياء، لكنه لما لم يقف على الحياة الأسرية لم يلج إلى هذه أيضا، وأنها مع حضورها في حياته(ﷺ)، إلا أنه سرعان ما قام بحلها، وقد تحدث القرآن الكريم عن بعضها، مثل:

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلاً، وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾[23].

معنى النص واضح، وهناك أمور أخرى ذكرها أهل الصحاح والسنن والسير، وفيها الصحيح والسقيم، ولا أذكرها هنا خوفاً من الإطالة.

ومن هنا -يقال الشيء بالشيء يذكر- يستطيع الإنسان الالتفات إلى عكس محاسن الأخلاق، أي: مساوي الأخلاق، ومدى أثرها في الحياة الشخصية والأسرية والاجتماعية؟. فمن هذا المنفذ ندخل في الموضوع الذي كنا بصدد البحث عنه، مع معرفتي بصعوبة الكتابة وحاجتها إلى تصفح الكتاب مرات ومرات، لكن شعوري بضرورة الاشتغال بالموضوع أنساني جميع العقبات، ولأنني متيقن من وجود المواد الأولية في الكتاب المذكور، إلا أنها منثورة بين أبواب الكتاب وفصوله، فينبغي جمعها وقراءتها مرة أخرى لبيان المقصود، وهو الملامح في حياته الأسرية: ونبدأ بالسؤال الآتي:ما هي المشكلات الأسرية المعاصرة؟

المشكلات الأسرية المعاصرة أغلبها عبارة عن تصرفات مارسها الإنسان في كل عصر حسب المستوى الثقافي للمجتمعات والتزامها بالدين، والمشكلات الأسرية الاجتماعية الواقعة بين ركني الأسرة وهما الزوجان هي مجموعة من الأمور التي قابلة لإزدياد وبعض التغير حسب الزمان وتغير الحياة، وعموما المشكلات، إما لفظية أو تتعلق بالتصرف والسلوك أو تنحصر في الأمور القلبية داخل الفرد إذن فهي:

[23]- القرآن، 33: 28-29.

أ: من الناحية اللفظية مثل: سوء التفاهم وتؤدي إلى القسوة في التعامل والغلظة من القول واستعمال الألفاظ غير الأئقة، مثل السخرية والاستهزاء والسب والشتم، والنيل من أقرباء المقابل وغير ذلك من الأمور اللفظية والتي نسمعها عن أبناء مجتمعاتنا أحيانا.

ب: التصرفات الفعلية العنيفة السلوكية: مثل الالتجاء إلى: الضرب والدفع والسجن والحرمان من الأكل، والنشوز والهجر والخيانة الزوجية من أحد الجانبين، وافشاء السر بينهما بين الناس، والكذب والإدمان على المخدرات وعدم الاهتمام بأمور الأسرة، حيث يسافر أسابيع دون سؤال عن حال الأسرة، ولو حضر لم يتحمل المسؤولية تجاههم.

ت: وهناك مشكلات نفسية، مثل سوء الظن وفقدان الثقة، والغيرة، وغياب الاحترام بينهما في الحياة الأسرية، وقد تعود بعض المشكلات إلى بداية تكوين الأسرة مثل، سوء الاختيار والتفاوت الكبير في المكانة الاجتماعية بينهما.

ث: ويضاف إليها في العصر الحاضر مشكلات أخرى من ذلك ما يتعلق بالإعلام ودوره السلبي في تزيين الانحرافات الأسرية للأسف، مثل الأفلام غير الأخلاقية، والتي تشجع على الخيانة الزوجية وعلاقات محرمة والمقاطع اللاخلاقية المعروفة المنتشرة والتي تديرها شركات عملاقة بحثا عن نفع مادي، ومن المشكلات الأسرية المعاصرة أيضا عدم الاهتمام بالأولاد، كما كان في الماضي وقلة العطف والحنان تجاههم.

وعموما الأمور التي تخلق المشكلات بين الزوجين أو الأسرة كثيرة جدا وحشرها ليس هينا؛ لأنها تختلف باختلاف الطبائع فقد يعرقل أمر بين زوجين بينما يراه غيرهما أمرا معتادا، قد تكون النظافة بين الزوجين تخلق مشكلة تصل إلى ما لا يحمد عقباه، وهذه المشكلات قد تجرّ الزوجين أخيرا إلى الانفصال والطلاق، وهو تحوّل من مشكلة إلى أخرى ربما أكبر ولاسيما إذا لديهما الأطفال.

ولا يخفى أن هذه المشكلات الواقعة بين الزوجين قد تؤثر على جميع أفراد الأسرة، ولاسيما الأولاد.

ثم إن المشكلات قد تتعلق بأفراد الأسرة، مثلا: أنها قد تكون مع أحد أفراد العائلة أو مع أجنبي خارج الأسرة، وفي حالتين لا تخرج عما سبق الحديث عنها من المشكلات اللفظية والجسدية والسلوكية وفي عصر الحاضر كثرت الأخيرة، أي: المشكلة السلوكية الأخلاقية، مثل ما نسمع من التشجيع والدعوة إلى المثلية والعزوف عن الزواج، وانتشار الزنى حتى مع المحارم أحيانا، وهذه مشكلات ومقدمات لمشكلات أشد وأكبر في المستقبل.

ولا يخفى أن المجتمع الذي عاش فيه الرسول(ﷺ) لم يكن خاليا من بعض هذه المشكلات التي سبق ذكرها، لأن طبائع أفراد المجتمع مختلفة، والإنسان يتأثر بأمور منها الأسرة التي ربته منذ الطفولة، فبعض هذه المشكلات كانت موجودة في عصر الرسالة، والدليل على ذلك شكاوى الأزواج بعضهم ضد بعض عند الرسول(ﷺ) ونزول القرآن أحيانا على مسألتهم كما في قصة خولة بنت ثعلبة –رضي الله عنها– ونزول بداية سورة قد سمع الله[24].

وكذلك مشهد بكاء غيث زوج بريرة وراء زوجته عندما انفصلا وشفاعة الرسول(ﷺ) له[25]، وأيضا حديث زوجة ثابت بن قيس والتي قالت: "إلا أني أخاف الكفر"

---

[24]– نزلت بداية السورة بعدما جاءت خولة بنت ثعلبة إلى الرسول واشتكت من تعامل زوجه معها. ينظر: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري (القاهرة: دار الشعب، ط:1، 1987م)، 7: 50.

[25]– تمام القصة ذكرها ابن عباس فقال: "إن زوج بريرة كان عبدا، يقال له: مغيث، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي(ﷺ) لعباس: يا عباس! ألا تعجب من حب

وفي رواية: "ولكني لا أطيقه"[26]، أي: إن بقيت مع هذا الرجل في الحياة الزوجية أخاف من لوازم الكفر بسبب الخصومات بيننا والمعاداة والشقاق.

وكما ورد في حديث عائشة -رضي الله عنها- في قصة فاطمة بنت قيس قالت لمروان بن الحكم: "لاعليك أن لا تذكر من شأن فاطمة"[27]، بمعنى: أن خروجها كان بسبب بذاءة اللسان وسوء الخلق[28]. فهذه أمثلة لبعض المشكلات في المجتمع الإسلامي الأول، إذن فكما سبق أن بعضا من المشكلات اللفظية أو السلوكية وغيرهما كان لها حضور في جميع العصور، ودافعها الأساسي هو التصرف بمزاج ودون منهج يسير عليه الإنسان لكيفية التعامل مع النفس أولا، ومع من حوله ثانيا، فالابتعاد والغفلة عن حسن السلوك الذي جاء به الإسلام ومكارم الأخلاق التي جاء بها الرسول(ﷺ)؛ لتكميل بنائها يجعل الانسان في حيرة من حياته، فينطق ويتصرف دون إحساس بمراقبة ربانية، وحق الآخرين من عدم جرح شعورهم .

وكيف يهتدي الإنسان إلى منهج متزن سديد يأخذ بيده ويعلمه تفاصيل الحياة، ويعطية رسالة لكل مرحلة في الحياة، فلا يغرب عنه شيء في حياته، باعتقادنا الجازم هذا المنهج هو التشريع الاسلامي الحنيف، وخصوصا المسائل المتعلقة بحسن الخلق الذي أوردها القاضي

مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثا؟، فقال النبي(ﷺ): لو راجعته؟. قالت: يا رسول الله! تأمرني؟، قال: إنما أنا أشفع، قالت: لا حاجة لي فيه".

البخاري، صحيح البخاري، 7: 62.

[26]- المرجع السابق، 7: 60.

[27]- أحمد بن الحسين البيهقي، سنن البيهقي الكبرى (مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، 1994م)، 7: 433.

[28]- عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي، شرح مسند الشّافعي (قطر: وزارة الأوقاف، ط:1، 2007م)، 4: 41.

في القسم الأول والباب الثاني منه والفصل الثامن في كتاب الشفا، فهو يُصلح حال الفرد، ويوجهه توجيها سديدا نحو الرضا بقضاء الله –تعالى– في حقه في العسر، ويتيقن أن في كل مكروه ثوابا إن رضي، كما يشجعه على لين الجانب وكظم الغيظ والعفو عن المسيء والمتجاوز، ويجعل القرآن الكريم منهجه. والرسول(ﷺ) أسوته فيما يتعلق بحياته الشخصية والأسرية، ومن هنا نعرف كيف نعثر على ملامح المشكلات في كتاب الشفا ؟، فالقاضي ذكر جماع الخصال الجميلة والأخلاق الفاضلة ومنابع حسن السلوك في الكتاب وأورد نصوصا من الكتاب والسنة الدالة وبكل وضوح على أهمية هذه المسائل، ولا يخفى أن التحلي بمكارم الأخلاق يبعد الإنسان عن الشرور وسوء التصرف والتعامل مع الآخرين، كما سيأتي الحديث عن هذا الموضوع في المبحث الآتي –إن شاء الله تعالى–.

المبحث الثالث: معالجة المشكلات الأسرية المعاصرة في ضوء كتاب الشفا

نحن نعرف أن إصلاح المجتمع يبدأ بالأسرة، فلا أمل بإصلاحه قبل إصلاحها، ولا يتسنى إصلاح الأسرة دون إصلاح الفرد، فالفرد هو اللبنة الأولى وأساس المشروع في الإصلاح، ويتبين للمتأمل في كتاب الشفا أنه جمع جماع الخصال الحسنة للرسول(ﷺ)، سواء ما يتعلق بنفسه الكريمة أو ما لها ارتباط وعلاقة بمن شاركه في حياته الشخصية، مثل أهله وزوجاته أمهات المؤمنين، وهذا الصلاح هو أساس إصلاح الأسرة وإبعادها عن الانحراف والمشكلات الشخصية والأسرية، والتحلي بفضائل الأخلاق والتخلي عن رذائلها هو أهم الخطوة في إصلاح الفرد في كل عصر وزمان ولكل فرد ومجتمع في الحياة.

ومن أقول القاضي التي لها صلة بحسن الخلق ومسائله قوله:

"اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم(ﷺ) الباحث عن تفاصيل جَمَل قدْره العظيم أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي...ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله تعالى زلفى"[29].

"وأما المكتسبة الأخروية: فسائر الأخلاق العلية، والآداب الشرعية: من الدين والعلم والحلم والصبر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة... ويذكر الرحمة وحسن الأدب والعشرة.. وهي التي جماعها حسن الخلق"[30].

والالتزام بهذه الخصال المكتسبة في كلام القاضي يجعل الانسان ثابتا ومستقيما في مواقفه ويعي ما يقول ويفعل، وهو أساس التربية الصالحة، والتحلي بالفضائل المطلوبة للفرد ليكون عنصرا صالحا لتكوين أسرة آمنة وصالحة فيما بعد، وهذه الصفات عبارة عن حسن الخلق الذي يؤكد عليه في موضع آخر حيث يقول:

"وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها...وهي المسماة بحسن الخلق، وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها، فجميعها قد كانت خلق نبينا محمد(ﷺ) على الانتهاء في كمالها والاعتدال إلى غايتها حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال –تعالى-:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[31]

ثم نقل كلام أم المؤمنين عائشة في وصف رسول الله فقالت:

---

[29]- أبو الفضل القاضي عياض بن موسى، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (بيروت: دار الفكر للطباعة، 1409ه)، 97.

[30]- المرجع السابق، 98.

[31] - القرآن، 68: 4.

"كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه"[32].

وانتقل القاضي إلى بيان حلمه واحتماله وعفوه وصبره والذي جزء من حسن الخلق: فقال: هذا كله مما أدب الله –تعالى– نبيه –صلى الله عليه وسلم–، فقال:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[33]

وذكر آيات فيما يخص العفو والصبر والحلم[34]، فكما قال القاضي اتفق العقلاء على أن التحلي بهذه الأخلاق والآداب فضيلة يستحق صاحبها الاجلال والاحترام، وهذه شهادة موجد العالم وخالق الكون لرسوله بأنه على أعظم خلق وأجمله، وشهادة المرأة لم تنفك عنه طيلة حياته الأسرية، فمن اقتدى به في خلقه فسيكون سعيدا في دنياه وآخرته، في حياته الشخصية والأسرية والاجتماعية، والنصوص الدالة على تشجيع الالتزام بحسن الخلق كثيرة معروفة لا داعي لسرد جميعها، فالإلتزام بهذه صمام أمان للقضاء على المشكلات أما عدم الاهتمام بها فتؤدي إلى خلق مشاكل سواء كان على مستوى الفرد أو الأسرة. ومن ثم ينتقل القاضي إلى أمر آخر ويقوم باستنباط لطيف فيما بعد، فيقول –رحمه الله–:

> "يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه، أن يتأدب بأدب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته، فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية، وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من رب الأرباب المنعم

[32]– المرجع السابق، 140–141.

[33] – القرآن، 7: 199.

[34]– المرجع السابق، 147.

على الكل، المستغني عن الجميع، ويستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالإكرام قبل العتب، وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب"[35].

فقوله: كيف ابتدأ بالإكرام ..إلخ، فيوجهنا إلى تطبيق هذا المنهج القرآني المتعلق بآداب الحوار والمحاسبة فنبدأ بالفضائل قبل الخطأ والإكرام قبل العتاب والعفو قبل الزلل، ولعل اتباع هذه الخطوات ستكون مثمرة في الحياة الأسرية ولا سيما مع الشباب والمراهق الذي يعتبر نفسه أعقل الناس وأكملهم ذكاء، وبهذا سيكون المنهج مساهمة جميلة في حل المشكلات الأسرية تقليل آثار الأخطاء بدلا من توسع نطاقها.

ومن جهة ثانية ما ورد في الكتاب في موضوع مكارم الأخلاق وحسن السلوك والتعامل مع الناس القريب منهم والبعيد لو نظرنا على منهج مفهوم المخالفة[36]، يتم إثبات الدعوى؛ لأن منابع الانحراف في موضوع الأسرة ومشكلاتها هي العدول عن الأخلاق النبوية التي ذكرها في القسم الأول والباب الثاني منه بفصوله، ولاسيما الفصل الثامن فضلا عن الأبواب الأخرى وفصوله من كتاب الشفا فإذا قال:

"في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقاً وخُلُقاً، وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقاً"[37].

35- المرجع السابق، 70.

36- هو بحث معروف في المبادئ اللغوية في علم الأصول، من أقسام المفاهيم مفهوم المخالفة، وهو: إثبات الحكمُ في المسكوتِ، على خلاف ما ثبت في المنطوق.
ينظر: علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام (بيروت: المكتب الإسلامي، ط:2، 1402هـ)، 3: 69، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، شرح تنقيح الفصول (أمريكا: شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط:1، 1973م)، 53.

37- القاضي عياض، الشفا، 97.

ونحن عرفنا أن حلمه وعفوه وسعة صدره(ﷺ) تجاه الآخرين هو الذي جعله محبوبا عند الآخرين، ومقبولا لديهم كما قال تعالى:

﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[38].

إذن انكشف أن سوء الخلق هو الذي يجعل الانسان منبوذا ومكروها عند الناس بما فيهم أهله وأسرته.

ومن توجيهات النبي(ﷺ) وإرشاداته لنجاح الأسرة وصلاحها

هناك توجيهات نبوية لمن له أهلية لتكوين الأسرة، وجهت للرجال ويشمل النساء أيضا ما تنسجم مع فطرتها، ومن ذلك: دعا(ﷺ) الشباب للزواج من استطاع منهم، وفي هذا دلالة واضحة أن من لا يستطيع الزواج وتزوج مع هذا فعدم القدرة عليه، يعرقل حياتهما كما ظهرت هذه الحقيقة في حديث العسيلة، وهو معروف[39]. وكذلك أنه (ﷺ) قد شجع على نكاح ذات الدين: وعدم الاهتمام بالأمور الفانية مثل الحسن والمال في قوله:

---

[38] – القرآن، 3: 159.

[39] – عن عائشة قالت: جاءت امرأة رفاعة إلى النبي(ﷺ) فقالت: كنت عند رفاعة القرظي فطلقني فبت طلاقي، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير، وإن ما معه مثل هدبة الثوب، فتبسم رسول الله(ﷺ)، وقال: "أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة!..".

البخاري، صحيح البخاري، 3: 220.

والشاهد فيه على قول المرأة عدم ايستعداد للزواج، ومع ذلك تزوج فهذه هي النتيجة.

"تُنكَحُ المرأةُ لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فَاظفَرْ بذاتِ الدِّينِ تَرِبَت يداكَ"[40].

وهذا شامل للنساء أن يخترن أصحاب الدين والخلق، لا أصحاب القصور والمليارات كما في الحديث الآتي: له(ﷺ) خطاب لأهل البنت بأن يرضون بمن يخطب ابنتهم: فيقول:

"إِذا جَاءكم مَن تَرضون دِينه وخلُقَه فَانْكِحوه، ثلاث مَرَّاتٍ"[41].

وبعد تكوين الأسرة أيضا يبين للأمة طريق السعادة في الحياة الأسرية، مثلا: تجد نصوصا في القرآن الكريم، وهي صريحة في كيفية تعامل أركان الأسرة فيما بينها: فيما يخص الرجل، قال الله -تعالى-:

﴿وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾[42].

وهذا النص كشف أمرين: الأمر حسن العشرة والتعامل بالمعروف، والثاني: الصبر على ما نكرهه في الحياة الزوجية، وفي الزوجة سواء كان في طبعها أو تصرفاتها أو أساليبها في الحديث، وفي كل هذا نحن مأمور بالصبر، والصابر مثاب عند الله، وسعيد في حياته الأسرية. وهذا هو الدعوة إلى سعة الصدر تجاه الزوجات.

وكذلك لله -تعالى- خطاب للنساء، فيقول سبحانه:

---

[40]- البخاري، صحيح البخاري، 7: 9.

[41]- أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط:2، 1975م)، 2: 386.

[42]- القرآن، 4: 19.

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[43].

يجب على المرأة أداء واجباتها كما تتمتع بحقوقها.

عند تعرض الأسرة للمشكلة الأسرية وضع منهجا لحلها من ذلك، فقال تعالى:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا﴾[44].

هذه خطوة من الخطوات وتليها خطوات أخرى كما قبلها خطوات من النصح والوعظ.

وبالتالي ضرب الله سبحانه تشبيها في غاية الجمال لحال أركان الأسرة فقال تعالى:

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[45].

ذكر الرازي وجوها في هذا التشبيه منها:

"لما كان الرجل والمرأة يعتنقان فيضم كل واحد منهما جسمه إلى جسم صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه، سمي كل واحد منهما لباسا"[46].

---

[43] – القرآن، 2: 228.

[44] – القرآن، 4: 35.

[45] – القرآن، 2: 187.

[46] – محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط: 3، 1420ه) 5: 269-270.

ومن أخلاقه(ﷺ) أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودد إليها بذلك. قالت:

"سابقني رسول الله فَسَبَقْتُهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ أحملَ اللَّحْمَ، ثُمَّ سَابَقْتُهُ بَعْدَ مَا حملتُ اللحمَ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: "هذِهِ بتلْك) فسبقته، وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فسبقني، فقال:هذه بتلك"[47]،

ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله(ﷺ)، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان[48]، ويقول لأصحابه:

"خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"[49].

وبهذا نصل إلى نتيجة مفادها أن الطريق الصحيح؛ لإصلاح هذا الكائن من التطفل والتصرف حسب الشهوات هو التمسك بسيرة خير خلق الله –تعالى-، والتي أورد قسما كبيرا منها القاضي في كتابه الشفا وأن إصلاحه مدخل لاصلاح الأسرة؛ لأن الأسرة تتكون من شخصين في البداية، فلو تخلقا بأخلاق الرسول(ﷺ) وما جاء في كتابه الكريم لهان الأمر من تكوين أسرة آمنة مستقرة يشعر كل منهما بواجباته، كما يتمتع بحقوقه.

47- أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل (القاهرة: مؤسسة قرطبة)، 6: 39.

48- إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم (بيروت: دار الكتب العلمية، ط: 1، 1419ه)، 2: 212.

49- الترمذي، سنن الترمذي، 6: 192.

نتائج البحث

الحمد لله الذي اختار لأمة الإسلام حسن الخلق ديناً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. تصفحت لأجل كتابة هذا البحث مئات الصفحات والمؤلفات، وجمعت عندي نتائج، لخصت أهمها من خلال النقاط الآتية:

1. النصوص الشرعية أو الشريعة الإسلامية تحمل في طياتها حلولاً جذرياً لمشكلات الإنسانية، فتبدأ بالفرد وتربيه على أسس صحيحة. والفرد أساس المجتمع، ومن ثم تحتوي على أحكا مفصلة في مجال الأسرة منذ الخطوة الأولى وهي التفكير في الزواج وإلى آخر لحظات الحياة الزوجية المشتركة، ففي الحياة الزوجية جعلت لكل منهما واجبات وحقوق، كما أمرت بالتعامل بالاحترام ويثاب الملتزم بالأمر، وهكذا لجميع أفراد الأسرة عليهم التعامل بالاحترام والمحبة. فاعتقادنا بأن النصوص تحل المشكلات جاء عن هذا الفهوم والنظر.
2. كتاب الشفا بيّن للقارئ أحوال الرسول -صلى الله عليه وسلم- فولج في حياته الشريفة، ويحبب إلينا الاقتداء به في الحياة، وكأنه بلسان الحال يقول لنا أن اتباعه يسعدك ويبعدك عن المشكلات الفردية أو الأسرية، فاشفا يعيك المفتاح لتدخل في روضاته المتنوعة وتستنبط ما تحتاج إليه لحل مشكلاتك مع أن هذا الأمر بحاجة إلى دقة وحذاقة وتدبر فلا يعثر كل واحد على المفتاح.
3. الأبواب التي يمكن الاستفادة منها ورصدها؛ لاستنباط حل المشكلات الأسرية المعاصرة هي أبواب عدة، فمثل القسم الثاني بأبوابه، ولا سيما الباب الثاني بفصوله.
4. اتضح لي أكثر أهمية كتاب الشفا وحسن كتابته وتقسيماته، وفوائد مسائله، إلى أن جعلني أفكر بترجمته إلى اللغة الكوردية بعد اختصاره، إذا سهل الله لي الأمر.

5. مع أن القاضي خاض في غمار المسائل المتعلقة بذات الرسول وصفاته(ﷺ)، لكنه لم يتطرق إلى حياته الأسرية، ولا محاسن حياته في هذا الجانب ولا المشكلات الأسرية.
6. الحياة الأسرية مع عدم ذكرها لها لكنه يمكن استنباطها من كتاب الشفا؛ لأن موادها الأولية من النصوص الكريمة والآثار المباشرة وغير المباشرة موجودة في الكتاب منثورة بين صفحاته وسطوره.
7. كتاب الشفا يتحدث عما يتعلق بخير الخلق(ﷺ) ومع ذلك فهو ثري بالعلوم والفنون، فتعثر على التفسير لبعض الآيات الكريمات، وشرح لبعض نصوص السنة، واستنباطات لطيفة للقاضي نفسه مع توضيحات لبعض المصطلحات العلمية والشرعية، وهذا الأمر يجعل الكتاب مصدرا لدراسات عدة في مجالات مختلفة.

التوصيات

1. ضرورة الاشتغال بالمشكلات الاجتماعية والأسرية، وبذل الجهود في إصلاح تصرفات الفرد من الناحية الاجتماعية؛ لأنه كما لا يخفى بأننا أمام تغيرات مختلفة، فينبغي الأخذ بكل جديد مفيد من الخلق والأعراف، ونبذ كل مذموم ومضر للإنسان والمجتمع.
2. خصوصا في عصرنا الذي زادت هيمنة الأعراف الغريبة على طبع شبابنا، وحثّ مباشر عن طريق المغترين بالحضارة الغربية دون تفكر وتأمل في عواقب التقليد، ومدى مناسبة ما يريدون تطبيقه في مجتمعاتنا يحبذون اتخاذ خطواتهم خطوة تلو الأخرى، فكاد أن نصل إلى ما وصلوا إليه من القيام بإجهاض الجنين وإهمال الوالدين الكبيرين وتركهم في الشارع بعد ما ضحوا بحياتهم من أجلنا، ونشتري بالمقابل كلبا أو هرة أو طيرا نخدمها بدلا من الوالدين اقتداء بالغرب.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Bibliography

1. *Al-Qur'ān.*
2. *ʿAbd Al-Ḥafīẓ Muḥammad Shanāq. Ẓāhirat Jannāḥ Al-Aḥdāth Fī Al-Urdun: Dirāsah Dhāt Ṭābiʿ Shumūlī Wa Sifāyah Tajrībīyah. ʿUmān: Al-Markaz Al-ʿArabī Lil-Khidmāt Al-Talābīyah, 2001 AD.*
3. *ʿAbd Al-Karīm Ibn Muḥammad Ibn ʿAbd Al-Karīm Al-Rāfiʿī. Sharḥ Musnad Al-Shāfiʿī. Qaṭar: Wizārat Al-Awqāf, 1st Edition, 2007 AD.*
4. *Abū Al-ʿAbbās Shahāb Al-Dīn Aḥmad Ibn Idrīs Al-Qarāfī. Sharḥ Tanqīḥ Al-Fuṣūl. Amrīkā: Sharikat Al-Ṭibāʿah Al-Fanīyah Al-Muttaḥidah, 1st Edition, 1973.*
5. *Abū Al-Faḍl Al-Qāḍī ʿIyāḍ Ibn Mūsá. Al-Shifāʾ Bi-Taʿrīf Ḥuqūq Al-Muṣṭafá. Bayrūt: Dār Al-Fikr Lil-Ṭibāʿah, 1409 AH.*
6. *Abū Al-Ḥusayn Yaḥyā Ibn Abī Al-Khayr Al-Yamanī Al-Shāfiʿī. Al-Bayān Fī Madhhab Al-Imām Al-Shāfiʿī. Al-Suʿūdīyyah: Dār Al-Manhāj, 1st Edition, 2000 AD.*
7. *Abū Al-ʿIrifān Muḥammad Ibn ʿAlī Al-Ṣabbān Al-Shāfiʿī. Ḥāshiyat Al-Ṣabbān ʿAlá Sharḥ Al-Ishmūnī Li-Alfīyah Ibn Mālik. Bayrūt: Dār Al-Kutub Al-ʿIlmiyyah, 1st Edition, 1997 AD.*
8. *Abū ʿAlyān Basām Muḥammad. Asālīb Al-Nashʾah Al-Ijtamāʿīyah Fī Al-Usrah Al-Yamīnah Wa Atharuhā ʿAlá Al-Taḥṣīl Al-Dirāsī Li'l-Abnāʾ. Al-Ṣanʿāʾ: Risālah Mājistīr, Jāmiʿat Ṣanʿāʾ, 2006 AD.*
9. *Abū Hayyān Al-Tawḥīdī ʿAlī Ibn Muḥammad Ibn Al-ʿAbbās. Al-Baṣāʾir Wa Al-Dhakhāʾir. Bayrūt: Dār Ṣādir, 1st Edition, 1988 AD.*
10. *Abū ʿĪsá Muḥammad Ibn ʿĪsá Al-Tirmidhī. Sunan Al-Tirmidhī. Miṣr: Sharikat Maktabat Wa Maṭbaʿah Muṣṭafá Al-Bābī Al-Ḥalabī, 2nd Edition, 1975 AD.*
11. *Aḥmad Ibn Al-Ḥusayn Al-Bayhaqī. Sunan Al-Bayhaqī Al-Kubrā. Makkah Al-Mukarramah: Maktabat Dār Al-Bāz, 1994 AD.*
12. *Aḥmad Ibn Ḥanbal. Musnad Aḥmad Ibn Ḥanbal. Al-Qāhirah: Muʾassasah Qurṭubah, Without Year.*
13. *Aḥmad Ibn Muḥammad Al-Qudūrī. Al-Tajrīd Li-Al-Qudūrī. Al-Qāhirah: Dār Al-Salām, 2nd Edition, 2006 AD.*
14. *ʿAlāʾ Al-Dīn Al-Samarqandī. Mīzān Al-Asūl Fī Nataʾij Al-ʿUqūl. Qaṭar: Maṭbāʿat Al-Dawḥah Al-Ḥadīthah, 1st Edition, 1984 AD.*
15. *Al-Fayrūzābādī. Al-Qāmūs Al-Muḥīṭ. Bayrūt: Muʾassisah Al-Risālah, 8th Edition, 2005 AD.*
16. *ʿAlī Ibn Muḥammad Al-Āmdī. Al-Iḥkām Fī Uṣūl Al-Aḥkām. Bayrūt: Al-Maktab Al-Islāmī, 2nd Edition, 1402 AH.*
17. *Al-Katānī. Al-Risālah Al-Mustaṭrifah. Beirūt: Dār Al-Bashā'ir Al-Islāmīyyah, 6th Edition, 2000 AD.*

18. *Al-Sayyid Sulaymān Al-Nadwī Al-Ḥusaynī. Al-Risālah Al-Muḥammadiyyah. Dimashq: Dār Ibn Kathīr, 1st Edition, 1423 AH.*
19. *Badrī Muḥammad Fahd, "Kitāb Al-Shifā Li-Qāḍī ʿIyāḍ Dirāsah Wa Taḥlīl" Majallat Al-Manāhil, Al-Maghrib, 19, 1980 AD.*
20. *Dr. Aḥmad ʿAbd Al-Laṭīf. And Dr. Sāmī Al-Khatāntah. Siyakulūjiyat Al-Mushkilāt Al-Usrīyah. ʿUmān: Dār Al-Masīrah Lil-Nashr Wa Al-Tawzīʿ, 2nd Edition, 2014 AD.*
21. *Dr. Farīd Shukrī. Al-Usrah Bayna Al-ʿAdl Wa Al-Faḍl. Al-Kuwayt: Wizārat Al-Awqāf Wa Al-Shuʾūn Al-Dīnīyah, 1st Edition, 2012 AD.*
22. *Dr. Muḥammad ʿUqlah. Niẓām Al-Usrah Fī Al-Islām. Al-Urdun: Maktabah Al-Risālah Al-Ḥadīthah, 1403 AH.*
23. *Dr. Muṣṭafá Al-Khin and Dr. Muṣṭafá Al-Bughā. Al-Fiqh Al-Manhajī ʿalá Madhhab Al-Imām Al-Shāfiʿī. Dimashq: Dār Al-Qalam Lil-Ṭibāʿah Wa Al-Nashr, 4th Edition, 1992 AD.*
24. *Dr. Yakhlīf Rafīqah. Al-Mushkilāt Al-Usrayyah Wa Atharuhā ʿAlá Tanshītah Al-Ṭifl. Al-Jazāʾir: Jāmiʿat Ḥusaybah Ibn Bū ʿAlī Al-Shalīf, Baḥth Munshūr ʿAlá Al-Mawqīʿ Bawābiṭ ʿIlm Al-Ijtimaʿ, Without Year.*
25. *Ibn Manẓūr Al-Afrīqī. Lisān Al-ʿArab. Bayrūt: Dār Ṣādir, 3rd Edition, 1414 AH.*
26. *Ismāʿīl Ibn Kathīr Al-Dimashqī. Tafsīr Al-Qurʾān Al-ʿAẓīm. Bayrūt: Dār Al-Kutub Al-ʿIlmīyah, 1st Edition, 1419 AH.*
27. *Khālid Ibn Hāmid Al-Ḥāzimī. Uṣūl Al-Tarbiyah Al-Islāmīyah. Al-Saʿūdiyyah: ʿĀlam Al-Kutub, 1st Edition, 2000 AD.*
28. *Muḥammad ʿAlī Al-Salāmah. Maḥkamah Al-Usrah Wa Dūruhā Fī Al-Mujtamaʿ. Miṣr: Dār Al-Wafāʾ Lil-Ṭibāʿah Wa Al-Nashr, 1st Edition, 2007 AD.*
29. *Muḥammad Al-Muqbil. Al-Awlād Wa Tarbīyatuhum Fī Ḍawʾ Al-Islām. Al-Riyāḍ: Dār Al-ʿĀṣimah, 1st Edition, 1409 AH.*
30. *Muḥammad Ibn ʿAbdullāh Ibn Muḥammad Al-Shāfiʿī. Majlis Fī Khatm Kitāb Al-Shifā Bi Taʿrīf Ḥuqūq Al-Muṣṭafā Ṣallā Allāh ʿAlayhi Wa Sallam. Bayrūt: Dār Al-Bashā'ir Al-Islāmiyyah, 2nd Edition, 2005 AD.*
31. *Muḥammad Ibn Ismāʿīl Al-Bukhārī. Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī. Al-Qāhirah: Dār Al-Shaʿb, 1st Edition, 1987 AD.*
32. *Muḥammad Ibn ʿUmar Al-Rāzī. Mafātīḥ Al-Ghayb. Bayrūt: Dār Iḥyāʾ Al-Turāth Al-ʿArabī, 3rd Edition, 1420 AH.*
33. *Muḥammad Murtaḍá Al-Zubaydī. Tāj Al-ʿArūs. Al-Kuwayt: Wizārat Al-Irshād, 2001 AD.*

34. *Muḥammad ʿUqlah. Niẓām Al-Usrah Fī Al-Islām. ʿUmān: Maktabat Al-Risālah Al-Ḥadīthah, 2nd Editon, 1989 AD.*
35. *Muṣṭafā Ibn ʿAbd Allāh Ḥājjī Khalīfah. Kashf Al-Ẓunūn ʿAn Asāmī Al-Kutub Wa Al-Funūn. Baghdād: Maktabah Al-Muthannā, 1941 AD.*
36. *Nashwān Ibn Saʿīd Al-Yamanī Al-Ḥamīrī. Shams Al-ʿUlūm Wa Dawāʾ Kalam Al-ʿArab Min Al-Kilūm. Bayrūt: Dār Al-Fikr Al-Muʿāṣir, 1999 AD.*
37. *Shifāʾ ʿAlī Al-Faqīh. Al-Usrah Al-Mumtadah Wa Dūruhā Fī Bināʾ Al-Shakhṣīyah Al-Muslimah: Namādhij Tatbīqīyah Min Bayt Al-Nubuwwah. Al-Urdun: Dār Al-Fatḥ Lil-Dirāsāt Wa Al-Nashr, 1st Editio, 2015AD.*
38. *Shihāb Al-Dīn Aḥmad Ibn Muḥammad Ibn Aḥmad Ibn Yāḥyā Al-Maqrī. Azhār Al-Riyāḍ Fī Akhbār Al-Qāḍī ʿIyāḍ. Al-Qāhirah: Maṭbaʿat Lajnat Al-Taʾlīf Wa Al-Tarjamah Wa Al-Nashr, 1939 AD.*
39. *http://www.almoslim.net/node/132461, accessed on 10.10.2022.*
40. *https://drive.google.com/file/d/1ipWnDmGmfb9fMs0a4bSeztZ1QrCoSff/view, accessed on 12.10.2022.*